واقعية المنهج العلمي في الحضارة الاسلامية

Reality of the scientific method in Islamic civilization

أ.د عمر عيسى عمران

كلية العلوم الاسلامية/ الجامعة العراقية

Dr. Omar Eissa Omran Alhleby

Islamic Sciences College, Iraqi University

Dr.omaressa_1978@yahoo.com

07906800954

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.29

ISSN p.p:2708-3993 / ISSN o.l: 2708-4000
Vol.2.Special.1/ (2020-2021)

الملخص

ما زال الحديث عن التداخل والتمايز المعرفي بين العلم الحديث والفلسفة والدين يكتسب بعداً جدلياً في الأوساط الإسلامية بعد أن حسم الصراع في ذلك لصالح العلم في الغرب، وقد حرص المتأثرون بالفكر الغربي على استدعائه في كل جديد يطرأ على الساحة الإسلامية، ولا شك أن هناك صلات بين الفلسفة والعلم والدين، وهناك نقاط التقاء واجتماع، ونقاط افتراق، ولعل ما يمتاز به المنهج العلمي الاسلامي في تعاطيه مع المستجدات والاكتشافات العلمية يكمن في واقعيته التي ترتكز على الوضوح والاتساق وعدم اصطناع معارك وهمية مع التراث الفكري ومحاولة اقصائه أو الانتصار عليه كما هو حاصل في الغرب، وقد جاء هذا البحث ليرسم صورة تلك الواقعية الاسلامية في سؤال المنهج ومحاولة الاجابة عن طريق ابراز خصائص الشريعة الاسلامية التي كفلت لها الديمومة والاستمرارية على مر الازمان والعصور، واقعية تتناغم مع فطر الناس ولا تتضاد معها، وتلبي احتياجاتهم النفسية والفكرية والجسدية، وتسهم في بناء الانسان بصورة تتكامل فيه احتياجات الجسد مع الروح، وتعمل على بناء المجتمع، وتفعل عناصر نهضته، واقعية ما عرفها الغرب وتقدموا ماديا الا حين تنكروا للدين وابتعدوا عنه، وما جهلها المسلمون وانكفأوا حضاريا الا حين تنكروا للدين وابتعدوا عنه.

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.29

Abstract

The talk about the cognitive overlap and differentiation between modern science, philosophy and religion is still acquiring a dialectical dimension in Islamic circles after the conflict in this was resolved in favor of science in the West. Philosophy, science and religion, and there are points of convergence and meeting, and points of separation, and perhaps what distinguishes the Islamic scientific method in dealing with developments and scientific discoveries lies in its realism, which is based on clarity and consistency and not feigning fake battles with intellectual heritage and trying to exclude it or victory over it as is the case in the West This research came to paint a picture of that Islamic realism in the question of the curriculum and trying to answer by highlighting the characteristics of Islamic law that ensured its permanence and continuity over time and eras, a realism that harmonizes with people's instincts and does not contradict them, and meets their psychological, intellectual and physical needs, and contributes to building the human being. In a way in which the needs of the body are integrated with the soul, and it works to build society, and the elements of its renaissance are implemented, a reality that the West knew and advanced materially, except when they rejected religion and moved away from the It is not, and the Muslims were not ignorant of it and turned away civilly except when they repudiated the religion and turned away from it.

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.29

ISSN p.p:2708-3993 / ISSN o.l: 2708-4000
Vol.2.Special.1/ (2020-2021)

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد، فمما لا شك فيه أن بعض المسلمين على اختلاف توجهاتهم ومدارسهم العلمية في القديم، كانوا في الكثير الغالب يعدون دوائر معارف واصحاب نظرة شمولية للعالم، وبهذا نهضت الامة وسادت الأمم ولو إلى حين.

وقد رصد المؤرخون لتاريخ العلوم اجتهاد المسلمين ونبوغهم في اكتشاف القوانين العامة التي تسير عليها الطبيعة والمجتمع والفكر، واعطاءهم نظرات علمية متطورة عن العالم، ورصدهم للتحولات الاجتماعية والتكنيكية لزمنهم، وقيامهم بتمتين العلاقة بين العلوم الفلسفية والعلمية والدينية بصورة لم تتعارض فيها هذه الصور على تزاحمها الا في النزر القليل واليسير ولهذا تم اعادة صياغة وتصحيح الكثير من المقولات الفلسفية التي تتعارض مع الاكتشافات الحديثة، كما تكلموا في النصوص الشرعية الدينية من حيث قطعية دلالاتها من ظنيها، وقطعية ثبوتها من ظنيها، وكل ذلك توصلا منهم الى رفع التناقض بين تلك النصوص وبين الاكتشافات الحديثة في زمنهم.

لقد آمن المسلمون بأهمية الفلسفة وضرورتها في مساندة البحث العلمي بوسائلها الخاصة: كنقد المفاهيم، واستخلاص التعميمات، واقامة الفرضيات، والتأسيس لوحدة العلوم، دون تجاهل خصوصيات موضوع كل علم على انفراد. وروعيت الصلة بين العلم والفلسفة والدين في الحضارة الاسلامية، مما رسم واقعية المنهج العلمي الرصين لهذه الحضارة، وأسهم في بلورة التفكير العلمي البعيد عن الخرافة والبعيد عن التبعية والتقليد الاعمى للمؤسسات والحكام وطبقة الكهنوت في الاديان

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.29

هذه الواقعية التي عرفها المسلمون من أيام البعثة الأولى في خطاب الشارع الحكيم وفي قضاياهم الدينية، فكانت من أبرز خصائص الشريعة الاسلامية التي كفلت لها الديمومة والاستمرارية على مر الازمان والعصور، واقعية تتناغم مع فطر الناس ولا تتضاد معها، وتلبي احتياجاتهم النفسية والفكرية والجسدية، وتسهم في بناء الانسان بصورة تتكامل فيه احتياجات الجسد مع الروح، وتعمل على بناء المجتمعات وعناصر نهضتها، واقعية ما عرفها الغرب وتقدموا ماديا الا حين تنكروا للدين وابتعدوا عنه، وما جهلها المسلمون وانكفأوا حضاريا الا حين تنكروا للدين وابتعدوا عنه.

وعلى هذا جاءت خطة البحث في مقدمة ومبحثين وخاتمة، وعلى النحو الاتي:

المقدمة

المبحث الأول: الاطار المفاهيمي وملامح التأسيس والتأصيل

المطلب الأول: الاطار المفاهيمي

المطلب الثاني: ملامح التأسيس العلمي والتأصيل

المطلب الثالث: نشأة المنهج العلمي الغربي

المبحث الثاني: ملامح واقعية المنهج في الاسلام

المطلب الاول: وضوح المنهج العلمي في الاسلام

المطلب الثاني: اتساق المنهج العلمي في الاسلام.

الخاتمة.

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.29

ISSN p.p:2708-3993 / ISSN o.l: 2708-4000
Vol.2.Special.1/ (2020-2021)

المبحث الأول
الاطار المفاهيمي وملامح التأسيس والتأصيل

المطلب الأول: الاطار المفاهيمي

يحسن بنا قبل المضي قدما في حيثيات موضوع البحث أن نتعرض لمفاتيحه المعرفية بوصفها مدخلا للوقوف على جوانب الموضوع ومجالاته، وعلى النحو الاتي:

أولا/ واقعية

اعتنى الاسلام بمفهوم الواقعية في تنظيره لقضاياه الدينية والفكرية والاجتماعية وقد اعطاه بعدا مقدسا بجعله الدين جزءا أصيلا من مفهومه، ليس غريبا عنه ولا مضادا له، لا كما هو الحال في واقعية المنهج الغربي الذي يربط غالبا ويقصر على الحياة المادية التي لا صلة لها بعالم الغيب والايمان بالله تعالى[١] .

من حيث البعد التأصيلي للفظ الواقع في اللغة العربية؛ فالواقعية مصدر صناعي لـ(واقع)، جاء في القاموس المحيط :[٢] وقَعَ يَقَعُ، بفتحِهما، وُقُوعاً: سَقَطَ، ووقع القولُ عليهم: وجَبَ، ووقع الحَقُّ: ثَبَتَ، ووقع رَبيعٌ بالأرْضِ: حَصَلَ، وهكذا نجد أن مفهوم الواقع قد جاء في معاجم اللغة العربية بمعنى: الحاصل، والكائن، والقائم، وعلى الاستقبال، كقول الله تعالى: ﴿إن عذاب ربك لواقع﴾، وقوله سبحانه ﴿وإن الدين لواقع﴾، قال البغوي :(لواقع) لكائن[٣]

(١) الموسوعة الميسرة في الاديان والمذاهب المعاصرة، ١٠٧/٢

(٢) القاموس المحيط، الفيروزآبادى ،٧٢٢/١.

(٣) علاقة الواقع الاجتماعي بالوعي الديني لدى مسلمي ألبانيا ، دراسة ميدانية، شائم الهمزاني، (دكتوراه) غير منشورة كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.29

و «الواقع» اصطلاحا هو: ما يحيط بالإنسان والجماعة من حال ومجال وعصر، ويؤثِّر فيهما على سبيل التشكيل الراهن ضمن زَمَن مُتَحَرِّك، و«الواقع» بذلك: هو حال الإنسان والجماعة بما يحملانه من قِيَمٍ وأفكار، وطبائع وخصائص وسمات، ضمن مجالات يحياها كلٌّ منهما ويعيشانها، من اقتصاديَّة، وسياسيَّة، واجتماعيَّة، وثقافيَّة، وَفْق المرحلة التاريخيَّة العامَّة التي تَمُر بها المجتمعات بسماتها المختلفة، وهو ما نطلق عليه العصر، والحال والمجال والعصر معيش من قبل الإنسان والجماعة في زمن ممتد متحول، والواقع بذلك ليس إلا معاصَرة الحال والمجال، وتشكلهما في صيرورة الزمن المعاش[١].

وسيأتي تفصيل أكثر في هذا البحث لكلمة واقع في مجالها الفلسفي والديني والعلمي والميز بينها وبين الظاهر.

ثانيا/ المنهج

سؤال المنهج بات اليوم من أهم اسئلة الفكر الحديث، وذلك لأن المنهج يجب أن يرتكز على ثلاثة مرتكزات حتى يكون طريقا سليما إلى تحصيل المعرفة، وهي: انسجام الرؤية واتساق المنهج وأنموذج نظر موحد[٢]، وأن المسائل والقضايا مهما اختلفت، وتنوعت، وتباينت امام الناظر والراصد؛ فإن جمعها في اطار وأسس أنموذج للنظر بحسب تعبير د. طه عبد الرحمن[٣] كفيل بأن يؤتي هذا السؤال اجابات وافية شافية عن

الرياض، (١٩٩٨م).، ص ١٩.

(١) http://www.alukah.net/literature_language/0/5427/aixzz5DzDho79N/ شبكة الآلوكة: الواقعية نظرة عن قرب لجميلة بنت محمد الجوفان.

(٢) ينظر: سوأل المنهج في أفق التأسيس لأنموذج فكري جديد، د. طه عبد الرحمن، جمع وتقديم د. رضوان مرحوم، المؤسسة العربية للفكر والابداع، ط١، بيروت/ ٢٠١٥م:

(٣) يحرص الدكتور طه عبد الرحمن على توظيف واستدعاء مصطلح «الأنموذج» دون «النموذج»؛ لأسباب تتعلق بمشروعه الفكري؛ اذ النموذج عنده بمعنى الطراز، في حين يقصد بالانموذج

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.29

ISSN p.p:2708-3993 / ISSN o.l: 2708-4000
Vol.2.Special.1/ (2020-2021)

مشكلات العصر ومستجداته.

وفي معرض الاجابة عن حقيقة المنهج نقول:

المنهج في اللغة: مأخوذة من الفعل الثلاثي (نهج) فالمنهج هو: الطريق الواضح، وأنهج الطريق، أي: إستبان وصار نهجاً واضحاً بيِّناً[١].

وقد جاء في القران الكريم قوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[٢] بمعنى الطريق الواضح الذي ليس فيها غموض[٣].

المنهج اصطلاحا: لا يخرج المعنى الاصطلاحي للمنهج عن المعنى اللغوي، وعليه نستطيع أن نُعرِّفه بأَنَّهُ: الطريق الواضح، والخطَّة المرسومة، فهو: مجموعة الركائز والأُسُس المهمَّة التي تُوَضِح مسلك الفرد، أو المجتمع، أو الأُمَّة لتحقيق الآثار التي يصبو اليها كل منهم[٤].

ثالثا/ العلم

ابتداء نقتبس قول الامام الغزالي في أحياء علوم الدين اذ قال: قد كان العلم يطلق على العلم بالله تعالى وبایاته وأفعاله في عباده وخلقه.. وقد تصرفوا فيه بالتخصيص حين شهروه في الأكثر بمن يشتغل بالمناظرة مع الخصوم في المسائل الفقهية وغيرها... ولكن ما ورد من فضائل العلم والعلماء أكثره في العلماء بالله تعالى وأحكامه وأفعاله

منهجية متبعة ورؤية محددة للعالم ؛ فمثلا نظرية نيوتن في الجاذبية أنموذج، ونظرية «اينشتاين» في النسبية أنموذج آخر. ينظر كتاب روح الدين وبؤس الدهرانية، د. طه عبد الرحمن:

(١) جمهرة اللغة: الأزدي ،١/٤٩٨، والصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: الجوهري ١/٣٤٦.

(٢) سورة المائدة الآية: ٤٨.

(٣) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: للطبري ١٠/٣٨٥، والبحر المحيط في التفسير: لأبي حيان ٢/٣٦.

(٤) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة: د. أحمد مختار عبد الحميد عمر ٢/١١٤٦.

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.29

وصفاته[1].

من هذا المنطلق فان بحثنا وحديثنا عن المنهج العلمي يشمل كل ما ذكره الغزالي رحمه الله تعالى وما يمكن بحثه من معارف وعلوم تجريبية وانسانية؛ لا فرق بينها في منهجية البحث وتاريخ العلوم في الحضارة الاسلامية.

لقد عرف أهل اللغة العلم بأنه: نقيض للجهل يقال: علمت الشيء أعلمه علماً: أي عرفته، وعلاّمة وعلاّم إذا بالغت في وصفه بالعلم أي عالم جداً.[2] وورد في تاج العروس: هو الاعتقاد الجازم الثابت المطابق للواقع أو هو صفة توجب تمييز لا يحتمل النقيض أو هو حصول صورة الشيْ في العقل وضد العلم الجهل[3]

ويمكن تعريفه اصطلاحا بأنه: هو جملة المعارف التي يدركها الانسان من خلال النظر في ملكوت السموات والأرض وما خلق من شيء..[4]

وقيل: أنه بحث نظري بمعنى أنه جدول للمعرفة والفهم الذي يحيط بظواهر الطبيعة على أن تمثل الطبيعة والانسان والعلم المحيط به..[5]

رابعا/ الحضارة

الحضارة في اللغة: مأخوذ من الفعل (حضر) والحضور نقيض المغيب والغيبة، تقول: حضر يحضر حضوراً حضارة، والحضر خلاف البدو، والحضار خلاف البادي

(١) ينظر: احياء علوم الدين، للغزالي، ١/٣٣.
(٢) لسان العرب، ابن منظور، ص ٨٧ .
(٣) تاج العروس، الزبيدي محمد مرتضى، مج، ص٤٥ .
(٤) التفكير فريضة اسلامية، محمود مصطفى العقاد، ص٤٠ .
(٥) فلسفة العلم، د. صلاح قنصوة، ص٥٠ .

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.29

ISSN p.p:2708-3993 / ISSN o.l: 2708-4000
Vol.2.Special.1/ (2020-2021)

وفي الحديث {دولا يبيع حاضر لباد[١]،[٢].

والحضارة معناها الاقامة في الحضر، والبادي المقيم في البادية وبهذا المعنى استعملها القطامي[٣] الشاعر في قوله مفتخراً ببداوة قومه، مستخفاً بساكني القرى والمدن.

فمن تكن الحضارة اعجبته فأيّ رجال بادية ترانا.

وفي الاصطلاح: تباينت وجهات النظر نوعاً ما في تحديد مصطلح الحضارة، وذلك يرجع الى تصورات وادراكات ومرئيات كل باحث ومفكر ومؤرخ الى مفهوم حضارة، فيعرفها د. عبد الله ناصح علوان: ((بأنها انتاج الانسان المدني الاجتماعي بخصائصه الفكرية والروحية والوجدانية والسلوكية تحقيقاً لاهداف امته وما ارتضته هذه الامة لنفسها من قيم ومثل ومبادئ))[٤].

ويعرفها المفكر الاسلامي ابو الاعلى المودودي: (نظام متكامل يشمل كل ما للانسان من افكار واراء واعمال واخلاق في حياته الفردية او العائلية او الاجتماعية او الاقتصادية او السياسية..)[٥].

ويرى المفكر الاسلامي مالك بن نبي ان: (الحضارة لا تظهر في امة من الامم الا في صورة وحي يهبط من السماء يكون للناس شرعة ومنهاجا)[٦]. وهو بهذا القول يحكم

(١) رواه البخاري، محمد بن اسماعيل، ت٢٥٦، الجامع الصحيح المختصر، دار ابن كثير بيروت ١٩٨٧م، ط٣، تحقيق مصطفى ديب، رقم الحديث ١٩٩٦.
(٢) لسان العرب المحيط، ابن منظور، ١٩٦/٤.
(٣) القطامي: عمير بن شيم من تغلب لقب بالقطامي لشدة شهوة اللحم والنكاح، كان نصراني فأسلم، توفي ١٠١هـ ٧١٩م، ينظر :معجم الشعراء في لسان العرب: د. ياسين الايوبي، ص٣٢٩.
(٤) معالم الحضارة في الاسلام، حلب، ص١٠.
(٥) الحضارة الاسلامية اسسها ومبادؤها ابو الاعلى المودودي، ص٢٨٨.
(٦) شروط النهضة، مالك بن نبي، ص٥٦.

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.29

بالفناء على كل حضارة لا تستسقي من نبع السماء الصافي روح حضارتها وثقافتها فربط الحضارة برابط الدين باعتباره قوام الامة واساسها.

ويتساءل الدكتور القرضاوي: هل للحضارة في الاسلام مفهوم خاص تتميز به عن غيره من الحضارات الاخرى السابقة واللاحقة التي عرفها الناس في الشرق والغرب ؟ او ان جوهر الحضارات واحد وان اختلفت اقطارها وتباعدت امصارها وتباينت اجناس صناع الحضارة وعقائدهم وفلسفتهم في الحياة ؟ اذ ينتهي به القول: ان هناك معنى عاماً للحضارة وهو جملة مظاهر الرقي المادي والعلمي والفني والادبي والاجتماعي في مجتمع من المجتمعات او مجتمعات متشابهة. ثم يعطي مستويات للمفهوم الاسلامي للحضارة، وهي الفقه الحضاري، السلوك الحضاري، البناء الحضاري[1].

او هي الحضور والشهادة لجميع معانيها فهي الحضور والشهادة والتجدد والفاعلية والخيرية والوسطية[2].

المطلب الثاني: ملامح التأسيس العلمي والتأصيل

يشكل المنهج العلمي مدخلا لدراسة العلوم والمعارف لأي حضارة أو ثقافة، ولذا اعتنت الأمم السابقة واللاحقة بوضع التصورات السليمة لبناء هذا المنهج بوصفه الأداة الحاسمة في عملية التفكير والاستنباط، ولعل أبرز ما يميز المنهج العلمي لأي اتجاه هو مرجعيته، ومن هذه المرجعية تستقى معالم وصور التأسيس لهذا المنهج، وفي حديثنا عن المنهج العلمي في الحضارة الاسلامية نشير إلى أنه يستمد واقعيته وقيمته من العقيدة الاسلامية نفسها التي تمثل حجر الزاوية في الحضارة الاسلامية، فالعلم والعقيدة

(١) السنة مصدراً للمعرفة والحضارة، يوسف القرضاوي، ص٢٠٠.

(٢) نظريات التنمية السياسية المعاصرة، دراسة مقارنة في ضوء المنظور الحضاري الاسلامية، نصر محمد عارف ص٧٨.

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.29

ISSN p.p:2708-3993 / ISSN o.l: 2708-4000
Vol.2.Special.1/ (2020-2021)

في الاسلام شيء واحد، لا فرق بينهما، وهذا أمر مهم يجب التنويه بذكره؛ ففي الوقت الذي نرى فيه الانفكاك واضحا بين العقيدة والعلم في المنهج العلمي الغربي، نجد الأمر عكس ذلك في الحضارة الاسلامية؛ فالعقيدة في الاسلام، هي الأمر الذي يصدق به القلب وتطمئن له النفس وتؤمن به إيمانا ناشئا عن الدليل اليقيني الذي لا يخالطه ريب، وهذا تعريف يدلل على أن الاعتقاد مثل العلم وهما بمعنى واحد هو الإيمان المطابق للواقع الثابت بالدليل(١) .

وهذا هو الخلل في المنهج العلمي الغربي حيث إنَّ المرجعية الدينية في الحضارة الغربية كانت بالضد من العلم، ولهذا سنجد في هذا البحث اشارات الى أنَّ المنهج العلمي استبدل تلك المرجعية الدينية، بمرجعية لا تمت للدين بصلة؛ بل بعقيدة الحادية تنكر الدين، وتتنكر له، وتعلن موت الاله في اشارة إلى أن التنوير قد قضى على امكانية وجود الالهة(٢).

ومن هنا يمكن لنا أن نفهم مراد «غوستاف لوبون» حين ذهب في كتابه الآراء والمعتقدات إلى أنَّ العقيدة هي: (ايمان ناشئ عن مصدر لا شعوري يكره الإنسان على تصديق فكر أو رأي أو تأويل أو مذهب جزافا)(٣).

نعم فقد وجد المنهج العلمي في الغرب نفسه أمام مشكلة مرجعيته وهي مرجعية تدعم عدم الواقعية وتؤسس لعدم المنطق وانَّما تقوم على الإقتناع تقليداً فهي مشكلات

(١) نحو علم كلامي معاصر(العقيدة الاسلامية في ضوء العلم الحديث)، الدكتور سعد الدين السيد صالح، ص١٤-١٥.

(٢) ينظر، ما سطره فريدريك نيتشه في كتبه غروب الالهة، وكتاب العلم المرح، وكتاب هكذا تكلم زرادشت.

(٣) ينظر، الآراء والمعتقدات، غوستاف لوبون، ص ١٧ .

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.29

كانت أصيلة في رحم المنهج العلمي في الغرب مع مرجعيته النصرانية لا مشكلة المنهج الاسلامي مع مرجعيته الدينية

يقول المفكر الغربي المجري ارثر كستلر: (إنَّ العقيدة لا تأتي عن طريق الإستدلال أو الاستنتاج فإن الإنسان لا يدخل الكنيسة نتيجة اقتناع منطقي أنَّ المنطق قد يحمي العقيدة ويدفع عنها ولكن بعد ان تكون العقيدة قد تكونت ورسخت، وقد يلعب الاقتناع دورا في ايمان الانسان بعقيدة ما، ولكنه دور الوصول بالعقيدة الى ذروتها الواعية بعد أن تكون قد نضجت وتكونت في مناطق بعيدة عن نطاق المنطق أو الاقتناع)[1].

وهنا تكمن المفارقة حيث أنَّ قوة المنهج العلمي في الإسلام يكمن في ارتباطه بمرجعيته الدينية ومنها يستمد واقعيته ومناسبته لكل زمان ومكان، وأمَّا عناصر ضعفه فتكمن في انفكاكه عنها، بينما عناصر قوة المنهج العلمي الغربي هي في انفكاكه عن مرجعيته الدينية، وعناصر ضعفه في التصاقه بها، وهنا تكمن المغالطة التي وقع فيها كثير من المسلمين للأسف حين تصوروا أنَّ المشكلة في تخلفهم عن ركب الحضارة الغربية هو أنَّهم لم يتنكروا لمرجعيتهم الدينية كما فعل الغربيون، ولهذا تجدهم يلهثون وراء الغرب، ويحذون حذوهم في التنكر للمرجعية الدينية، وهذا أكبر خطأ وقعوا فيه حين لم يميزوا بين المختلفات، أو يجمعوا بين المتماثلات والمؤتلفات.

(١) الصنم الذي هوى، تأليف ستة من كبار كتاب الغرب، ترجمة د. فؤاد حمودة، منشورات المكتب الاسلامي، ص١٨.

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.29

ISSN p.p:2708-3993 / ISSN o.l: 2708-4000
Vol.2.Special.1/ (2020-2021)

يشار هنا بأنَّ لفظ الواقع يدل على جملة معان في اللغة تتمحور حول الثبوت[١]، والوجوب[٢]، أمَّا اصطلاحاً؛ فلا نكاد نستطيع العثور على تعريف محدد يعطي مدلولا واحدا، وإنما هو ذو مدلولات متكثرة، « يقال رجل واقعي أي: يرى الأشياء كما هي عليه في الواقع، ويتخذ ازاءها ما يناسبها من التدابير دونن التأثر بالأوهام أو الأحلام، ويقال أيضاً واقعية التفكير، أي: مطابقته للواقع[٣].

وهذا التحديد لمفردة الواقع أمر مهم وهو ما نعنيه من اطلاقه على عنوان البحث لا كما سيحاول اتباع المنهج العلمي في الغرب في التفريق بين الواقع وبين المشاهد الظاهر، وجعل الواقع شيئا وراء الظاهر وبالتالي ضرورة عدم الإنصياع لإطروحات الظاهر المشاهد والإيمان بالواقع المخفي أو الذي لا يظهر إلاَّ بالميكروسكوب وما كان على شاكلته[٤].

إذن واقعية المنهج العلمي في الإسلام ناشئة من واقعية مرجعيته، وهي مرجعية تؤمن بإله واحد في ذاته وصفاته وأفعاله، إله عادل لا يفرق بين الشعوب كاله اليهود، أو إله متجسد وحالٌّ في بعض خلقه كاله النصارى، أو إله غير واقعي وخيالي وموهوم كحال الهة الديانات الدارمية.

كما راعت العقيدة الإسلامية واقعية الإنسان وحبه في البقاء فدعت الى الإيمان بحياة أخرى وان عليه أن يتحلى بالصبر في هذه الحياة الدنيا وان كل ما يصيب الانسان من

(١) المفردات في غريب القرآن، للراغب الاصفهاني، مادة وقع، ١/ ٨٨٠.؛ القاموس المحيط، للفيروزآبادي، ١/ ٧٧٢

(٢) لسان العرب، لابن منظور، مادة وقع، ٨/ ٤٠٣

(٣) المعجم الوسيط في اللغة العربية، ١٠٥٠، مختار الصحاح، ص٧٣٢؛ العجم الفلسفي، د. مراد وهبة، ص٧٧٥.

(٤) مشكلات الفلسفة، برتراند رسل، ترجمة سمير عبده، دار التكوينط١، ص٩.

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.29

ألم وهم ومرض حتى الشوكة يشاكها له فيها أجر، وهكذا اشتمل المنهج العلمي في الحضارة الاسلامية على نقطة مهمة جدا غفل عنها المنهج العلمي الغربي وهي الاخلاق؛ فالمنهج العلمي الغربي يتيح اليوم للإنسان أن ينهي حياته عن طريق الموت الذي يسمونه «الموت الرحيم» لترتسم صورة هذا المنهج بأنه منهج مادي عقيم لا يؤمن بمرجعية الاله القادر المدبر المحيي المميت الذي بيده الأمر كله الى غير ذلك من الصور التي ستأتي ضمن هذا البحث لاحقا.

المطلب الثالث: نشأة المنهج العلمي الغربي

يقال أن الاشياء تتضح بأضدادها ومن هذا المنطلق نثير الكلام عن المنهج العلمي الغربي توصلا لتحرير واقعية المنهج العلمي في الحضارة الاسلامية، الذي امتزجت فيه الفلسفة والعلم والدين بصورة لم تتقاطع فيه الثنائيات والثلاثيات كما هو حاصل في الغرب، قد يكون هناك نوع من الاشكاليات بينها في المنهج العلمي الاسلامي لكنها لم تتقاطع أو يهمل الدين بسببها ومن هنا ارتسمت معالم المنهج العلمي الغربي من خلال الاشكاليات الاتية والتي لم يوفق الفكر الغربي في تجاوزها الا بعملية اقصائية للدين والفلسفة.

أولا: الفلسفة والعلم ومنهج الانفصام

الحديث عن بواكير الانفصام بين العلم والفلسفة يتيح للراصد الوقوف على مدى التأثير الكبير الحاصل للفلسفة في منهجية العلم عند الغرب قبل عصر النهضة، ويعطي صورة واضحة لذلك الانفصام الحاد الواقع لاحقا، بين العلم والفلسفة وبينهما وبين الدين؛ وقد درج العلماء وفلاسفة العلم على تناول المنهج العلمي اعتبارا من القرن السابع عشر؛ حيث نجد الكتابات المختلفة تؤرخ للمنهج العلمي بظهور كتاب «فرنسيس بيكون» الملقّب برسول العلم الحديث الذي أرسى أسس الاستقراء العلمي

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.29

ISSN p.p:2708-3993 / ISSN o.l: 2708-4000
Vol.2.Special.1/ (2020-2021)

ناقداً منهج البرهان القياسي لدى أرسطو مما جعله يؤسس للنظرية المنطقية الحديثة من خلال كتابه «الأورجانون الجديد»» « Novum Orgaunun»» سنة ١٦٢٠م والذي يعد بحسب دوائر الفكر العلمي البداية الحقيقية لمعالم المنهج، حيث وضع فيه أصول المنهج التجريبي الحديث، وفي هذا الاطار عادة ما ينظر إلى مجهودات العلماء السابقين على «بيكون» على أنها مجرد محاولات لم ترق بالأفكار العلمية إلى مستوى المنهج الدقيق.(١)

مثل بيكون مرحلة تطورية مهمة في تأريخ الفلسفة الأوربية؛ وقد اعتبر الفيلسوف والمؤرخ الإنجليزي ويل ديورنت أن فرنسيس بيكون في كتابه (البحث الجديد) قد بعث الحياة مجدداً لعلم المنطق، وكان أساس عمله هو بيان أثر الإنسان في تزييف الحقائق، يقول فيلسوف التنوير الفرنسي كوندياك إنه لم يفهم أحد أخطاء الإنسان مثل بيكون، بالإضافة لإشارته لمحدودية القياس الأرسطي وقلة إنتاجيّته(٢)، حيث تمثلت رسالة بيكون الفلسفية دعوة عامة للناس، وللعلماء خاصة أن يتجهوا إلى السعي نحو معرفة مكانة الانسان من الطبيعة في محاولة لبث الوعي لادراك ان التفكير الفلسفي لا ينبغي ان يتجه الى ما فوق الطبيعة وأن يتخذ الجدل والنقاش أداة له، وانما عليه أن يتجه نحو الارض وظواهر الطبيعة، وأن يتخذ التجريب واساليبه المختلفة أداة له، وإذن فالغاية من الفلسفة هي المعرفة، والغاية من المعرفة هي السيادة على الطبيعة، ذلك هو الجديد عند بيكون، والجديد على التفكير الفلسفي في مستهل العصور الحديثة(٣)

(١) ينظر: المنهج العلمي عند العلماء العرب محاولة في الفهم، د. ماهر عبد القادر محمد علي، ٢٩.
(٢) ينظر: مشكلات الفلسفة، د. ماهر عبد القادر محمد علي ص١٣.
(٣) ينظر: فلسفة فرنسيس بيكون، ص٢٧-٢٨.

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.29

وهكذا ظل بيكون مكبا على العمل والتجريب ومات في ميدان العمل والتجريب؛ إذ وافته المنية في صباح التاسع من أبريل ١٦٢٦م بعد أن أصيب ببرد شديد وهو يجري آخر تجاربه لاختبار تأثير البرودة في منع التعفن، بدفن دجاجة مذبوحة في الثلج، وعلى فراش الموت قال قولته الشهيرة: « لقد نجحت التجربة» التي أصبحت شعارا لعصر بأكمله، لقد كان موته مرتبطا بالهدف الذي كرس له حياته وهو تجويل العلم الئ مجال التطبيق والثمار العملية وتسخيره لخدمة الانسان وللسيطرة على الطبيعة(١)

ثانيا: العلم والبحث عن العلية

تكشف لديفيد هيوم ان استدلالات الفلاسفة المتعلقة بالواقع تقوم في اساسها على علاقة العلة بالمعلول Caues and effect ؛ حيث يرى هيوم أنَّ قوام معرفتنا انطباعات حسية، وأفكار ؛ أما الانطباعات الحسية فتنقلها لنا الحواس بعد مواجهتنا للعالم الخارجي على حين ان الافكار تعد بمثابة صور خافتة للانطباعات، ومن ثم فإن للانطباعات السبق دائما على الأفكار المطابقة لها، كما ان الانطباع يقابله على الدوام فكرة تماثله، ولا تختلف عنه إلا في القوة والحيوية؛ فاذا كنا نشاهد حيوانا مفترسا؛ فإننا نكتسب انطباعا حسيا، يتحول بعد غيبة هذا الحيوان عن ابصارنا الى صورة ذهنية تصبح بمثابة فكرتنا عنه، فكان التمييز بين الانطباع والفكرة مرده إلى درجات الشدة والحيوية؛ فالانطباعات أشد قوة وحيوية من الافكار، ولها السبق دائما عليها، وما الفكرة إلا انعكاس لانطباع حصلنا عليه من الحس، وبذا فالانطباع يقابله دائما فكرة تماثله وتطابقه، كذلك لا بد وان تكون الفكرة التي لدينا مطابقة لانطباع حسي معين سبق ان وجد في الحس؛ فإذا نشأت لدينا فكرة ليس لها انطباع حسي مقابل اعتبرت فكرة زائفة.

(١) أوهام العقل، قراءة في « الاورجانون الجديد» لفرانسيس بيكون، عادل مصطفى، ص١١.

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.29

ISSN p.p:2708-3993 / ISSN o.l: 2708-4000
Vol.2.Special.1/ (2020-2021)

لقد اتضح لهيوم أنه لا يمكننا القول بان مجرد تحليل العلة يتضمن وجود المعلول كأحد عناصرها؛ لأن المعلول متميز عن علته، فهما امران متمايزان لذلك لا يوجد تناقض منطقي في اثبات احدهما وانكار الاخر، وحينها يصبح القول بان لكل حادثة علة مرده الى التجربة؛ فالتكرار بان هذه الحداثة تتبع تلك الحادثة هو من يولد لنا عادة عقلية في الذهن وعن هذه العادة تصدر فكرة الرابطة الضرورية التي تنشا نتيجة لملاحظة التكرار لان ما شاهدناه يتمثل في ان حادثتين تتابعتا في الحدوث امام ادراكنا يحدث لي انطباع حسي حين ارى الشمس في الصباح ثم يتبعه انطباع رؤية الضوء. ما حدث انما هو تتابع أو تلازم بين انطباعين؛ لذا هيوم ينظر الى الانطباع الحسي على انه المعيار الوحيد للكشف عن صدق اي فكرة(١).

ثالثا: مبدأ اطراد الحوادث في الطبيعة

وهذا مبدأ مهم وبخاصة فيما يتعلق بالتجارب التي تجرى اليوم على اللقاحات، فإذا تحقق لدينا اليوم أنَّ اللقاح آمن بعد تجربته ونجاحه في المراحل السريرية التجريبية فهل يمكن أن نعطي قانونا ثابتا وراسخا بنجاحه في المستقبل؟، هذا التساؤل أثاره فلاسفة العلم الحديث في الغرب؛ إذ يرى هيوم أنَّه اذا كانت مشاهداتنا السابقة والحالية تجعلنا نقول « الشمس سوف تشرق غدا» فان هذا القول ينطوي على اعتقاد فحسب، ولا يتضمن فكرة الضرورة، من هنا بدأ هيوم مناقشة مبدأ اطراد الحوادث وحتى نوضح رأي هيوم نقول: لقد وجدنا جاليليو قد بدأ من مشاهدات بسيطة لحالات محدودة من سقوط الاجسام، المراحل التي مر جاليليو هي ما نسميه «الاستدلال الاستقرائي» Inductive inference» الذي فيه من وقائع شاهدها فعلا وكانت موضوعا لملاحظته، الى وقائع سوف تحدث في المستقبل، ولم تشاهد بعد، الوقائع الاولى التي شوهدت يعبر عنها في

(١) ينظر: مشكلات الفلسفة، د. ماهر عبد القادر محمد علي، ص١٨.

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.29

قضايا جزئية وينظر اليها على انها مقدمات الاستدلال.

اما الوقائع الاخرى التي لم تشاهد بعد والمفترض انها سوف تحدث في المستقبل فيعبر عنها بقضايا كلية، وتعد بمثابة النتيجة، وهذه النتيجة تفرض مبدأ اطراد الحوادث. اي تتضمن الحكم على الامثلة الجزئية التي يمكن ان تحدث في المستقبل.

ولكن ما موقف العلم اذا حدثت حالة واحدة سالبة في المستقبل؟ هل يمكننا أن نقرر بأن المستقبل لن ينطوي على حالة سالبة؟

يقدم هيوم تصوره لحل المشكلة من خلال التمييز بين القضايا الرياضية والمنطقية، وبين القضايا التجريبية المتصلة بالواقع.

النوع الاول من القضايا مثل المربع المنشأ على وتر المثلث القائم الزاوية يساوي مجموع المربعين المنشأين على الضلعين الاخرين هذا النوع من القضايا لا يتوقف صدقه على الواقع التجريبي. لان هذه القضايا صادقة صدقا مطلقا ومعيار صدقها يتمثل في ان نقيضها مستحيل او انه لا يتصور لها نقائض.

اما القضايا المتصلة بالواقع التجريبي والتي تعبر عن العلوم الطبيعية والتعميمات المستمدة من الاستدلال الاستقرائي فان صدقها يتوقف على الواقع. اي على التحقيق التجريبي لها

وفي هذا النوع من القضايا يمكننا ان نتصور نقيض القضية التجريبية دون ان نقع في تناقض فالقضية التجريبية القائلة الشمس سوف تشرق غدا يمكن انكارها دون تناقض لان القضية سوف لا تشرق في الغد ليست اقل قبولا لدى العقل من اثبات ان الشمس سوف تشرق غدا

فاعتقادنا في شروق الشمس غدا يرجع الى العادة التي تكونت لدينا من تكرار الشروق

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.29

ISSN p.p:2708-3993 / ISSN o.l: 2708-4000
Vol.2.Special.1/ (2020-2021)

السابق الذي لاحظناه وجعلنا نتوقع شروقها في الغد، ومع هذا ليس لدينا دليل لتبرير الاعتقاد بمبدأ اطراد الحوادث[1].

وبهذا التفسير يمكن القول بأن القضية المتصلة بالواقع والتي تم تجريبها هي قضية صادقة واذا حصل حالة سلبية مستقبلا؛ فهي لا تنقض صدق القضية السابقة وغاية ما في الأمر أن الحالة السلبية تدرس لمعرفة الوقائع المحيطة بها والظروف التي رافقتها وهذا هو منطق المنهج العلمي في الغرب وهذه هي فلسفته، وعليه تبقى قضية ان لقاح كوفيد ١٩ –على سبيل المثال– آمن وفعال حتى لو ظهر في المستقبل حالات سلبية فهي لا تنقض التجارب السريرية التي اكدت فعاليتها ونجاحاتها، ومطلوب من الجميع وفق هذا المنهج وهذه الرؤية أن يبحثوا عن علة ظهور حالات سلبية ويدرسوا تلك الحالات التي ربما ظروفها المحيطة بها أو الحالة السلبية نفسها فيها نوع اختلال تحتاج منا معالجتها قبل أن تأخذ هذا اللقاح وهذا أمر مشاهد وملموس في كثير من الأدوية التي يحرص منتجوها ومصنعوها على ذكر الاستطبابات والمحاذير والاعراض الجانبية لها في علبة الدواء، وعلى هذا يمكن ان يضمن اللقاح قائمة بذكر الحالات السلبية التي لا يعطى لها هذا اللقاح حاله في ذلك حال الأدوية واللقاحات الأخرى.

رابعا: بين الواقع والظاهر

في كتابه مشكلات الفلسفة يثير برتراند رسل تساؤلا مهما أين الحقيقة هل هي الواقع، أم الظاهر؟ هل ثمة معرفة في العالم تبلغ إلى درجة من اليقين لا يستطيع الانسان العاقل الشك فيها؟ وفي معرض الاجابة عن ذلك يقرر رسل أن هناك فرقا بين الظاهر الذي نبصره ونشعر به مباشرة، وان الواقع شيء وراء ذلك ليس هو ما يظهر لنا، وهنا التساؤل

(١) ينظر: مشكلات الفلسفة، د. ماهر عبد القادر محمد علي ص٢٢.

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.29

المهم الذي اثاره رسل حين تساءل عن اي الوسائل أنسب للكشف عن طبيعة هذا الواقع؟ وهو ما لم يوفق عن الاجابة عنه العلم الحديث ولا الفلسفة بحسب رسل[١].

وقد تطرفت فلسفة العلم تطرفا حتى وصل الاعتقاد بأن المعلومات المتلقاة عن طريق الذوات الأخرى الواعية هي أيضا غير موجودة[٢].

وهكذا تمت صياغة العلوم الطبيعية صياغة فلسفية الحادية بناء على انكار الظاهر والدعوة الى اعتماد الواقع -بحسب نظرية الكوانتم= الذي يعد الكاشف عنه، مع انه من المفروض بحسب الدكتور عبد الوهاب المسيري - انه لا يصح ان نعتمد واقع الكوانتم الا بعد ان يدرس العالم الذري في الماضي والحاضر والمستقبل حتى يعطي حكمه الفلسفي عليه والمستقبل لم يوجد فالحكم حينها ناقص، لذا فالصياغة الايمانية يمكن ان تقول بان العالم لم يفهم هذا العالم الذري وطبيعة حركته لقصور العقل وعليه نبقى على ما نحن مستيقنون منه من غير أن نقحم عقلنا في متاهات غير علمية لان الشك قد يظهر بعد ٢٠٠ سنة في كثير من نظريات الكوانتم.

المبحث الثاني
ملامح واقعية المنهج في الاسلام

المطلب الاول: وضوح المنهج العلمي في الاسلام

لا يمكن للمرء أن يدّعي أنَّ هناك كتابات واضحة محددة المعالم حول المنهج العلمي في الإسلام، لكن الكتابات الحديثة[٣] التي تناولت تاريخ العلوم عند العرب اشارت في

(١) ينظر: مشكلات الفلسفة، برتراند رسل، ترجمة سمير عبدو، ص٩ وما بعدها.
(٢) ينظر: فيزياء الكوانتم حقيقة أم خيال، أليستر راي، ترجمة: أسامة عباس، ص١٣٩.
(٣) من أهمها: كتاب مناهج البحث عند مفكري الاسلام، للدكتور علي سامي النشار، وكتاب جابر

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.29

ISSN p.p:2708-3993 / ISSN o.l: 2708-4000
Vol.2.Special.1/ (2020-2021)

بعض الحالات إلى افكار منهجية مهمة تسلط الضوء بصورة معقولة على تلك الاسهامات في صناعة المنهج ولكن عن طريق حشد النصوص والتركيز على البنية التأريخية الخارجية دون النفاذ الى اعماق النية الداخلية[1].

لقد احتوت النظرات التي قدمها الفكر الاسلامي عن العالم الكثير من النظريات التي كان لها الدور الابرز في تحريك المياه الراكدة في الغرب ابان العصور المظلمة عندهم ففي الوقت الذي كان العصر فيه يزداد بهاء وألقا في حضارة الاسلام كان الغرب يئن من وطأة الكنيسة وظلم اقطاعها، ولهذا ما لبثوا أن انعتقوا عن سلطان الكنيسة بمجرد انفتاح كوة صغيرة الى العالم الاسلامي في الاندلس، ومن هؤلاء المسلمين عرف الغرب المتوحش حينها المدنية والحضارة، وطرقت ابوابه بشدة نظريات العلم في الاسلام والحديث عن نظريات الذرة واللانهاية في العالم ومعرفة العالم المادي مع تعدد اشكاله وتعقيداته

ويلحظ هنا أنَّ الكتابات المختلفة في تاريخ العلم تنظر عادة للعلم العربي أو الإسلامي على أنَّه مرتبة أدنى من العلم الاوروبي الحديث؛ لا بدَّ من تقديم رؤية علمية أصيلة لتأريخ العلم العربي الإسلامي؛ فالإبداع الإسلامي والنبوغ العربي لم يكن مقتصرا على الجوانب الفقهية والأدبية، وهذه بطبيعة الحال متصلة بالدين واللغة، فحضارة الإسلام ليست دينية فجسب، ومن استقرأ النتاجات التي أنتجتها عقول المسلمين في مجالات وحقول علمية مختلفة لوقف على درجة كبيرة من الابداع، فقد اسهم العرب في مجالات النباتات والصيدلة والفلك والكيمياء والطب والبصريات والرياضيات وكل تلك الاسهامات

بن حيان، للدكتور زكي نجيب محمود، وكتاب منهج البحث العلمي عند العرب في مجال العلوم الطبيعية والكونية، للدكتور جلال موسى.

(١) ينظر: المنهج العلمي عند علماء العرب، محاولة في الفهم، د. ماهر عبد القادر محمد علي، ص٣٢.

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.29

جاءت وفق منهج يعتمد العناصر الرئيسة للمنهج العلمي، وهي:

١- الملاحظة

٢- التجربة

٣- الفروض

٤- تحقيق الفروض

٥- القانون[١]

ولا شك أنَّ هذه العناصر هي سلسلة في الوصول الى اليقين، وتعد المرجعية الدينية في الحضارة الإسلامية من أكثر المرجعيات تأسيساً لليقينيات وطلباً لها؛ فهي مرجعية قامت على اليقين والبرهان، ودعت لهما، وحثت عليهما، وأكدت على السعي لتحصيلهما مما ترك أثرا واضحا في المنهج العلمي في الحضارة الاسلامية، وتتجلى صورة الاعتناء باليقينيات في المرجعية الاسلامية من خلال الصور الاتية.

اولا: لا عبرة بالكثرة، وهذا ممّا يغتر فيه الكثير من الناس فيربطون اليقين بكثرة القائلين قال تعالى: ﴿ وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾[٢] ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾[٣]

ثانيا: لا عبرة بالسبق بالزمان أو الشهرة أو الذيوع والانتشار، ومن هنا نعى الله تعالى على المقلدين للاباء والاجداد او الشيوخ ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾[٤]

(١) المرجع نفسه ص٤٨.
(٢) سورة الانعام الآية ١١٦.
(٣) سورة الاعراف من الآية ١٨٧.
(٤) سورة البقرة الآية ١٧٠.

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.29

ISSN p.p:2708-3993 / ISSN o.l: 2708-4000
Vol.2.Special.1/ (2020-2021)

﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴿٦٧﴾ ﴾(١) ﴿ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾ ﴾(٢) ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ ﴾(٣)

ثالثا: طلب البرهان، ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ﴾(٤)، (هل عندكم من علم ﴿ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا ﴾(٥)، ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾(٦)، ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ ﴿٢٣﴾ ﴾ (٧) ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ ﴾(٨)

رابعا: ارتباطه بالعقل مع الإيمان بمحدودية العقل الإنساني، ابتداء لا توجد مرجعية حثت العقل ليأخذ دوره كما هو الحال في المرجعية الاسلامية التي دعت إلى إعمال العقل، من ذلك قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴾(٩). وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ

(١) سورة الأحزاب الاية٦٧.
(٢) سورة غافر من الآية ٤٧.
(٣) سورة الفرقان من الآية ٢٧.
(٤) سورة البقرة من الآية ١١١.
(٥) سورة الانعام من الآية ١٤٨.
(٦) سورة الاسراء من الآية ٣٦.
(٧) سورة النجم من الآية ٢٣.
(٨) سورة النجم من الآية ٢٣.
(٩) سورة الروم الآية ٨.

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.29

﴿ ٱثۡنَيۡنِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[1]. وكذلك: ﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾[2].

فيلاحظ في هذا التوجيه القرآني أنه يقرن ابتداء بين توجه القلب إلى ذكر الله وعبادته: ﴿ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ ﴾[3]. وبين التفكر في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل. فيسلك هذا التفكر مسلك العبادة ويجعله جانبا من مشهد الذكر[4].

وليس هذا فحسب بل انها حثت على النظر في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيۡءٖ فَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهُ خَضِرٗا نُّخۡرِجُ مِنۡهُ حَبّٗا مُّتَرَاكِبٗا وَمِنَ ٱلنَّخۡلِ مِن طَلۡعِهَا قِنۡوَانٞ دَانِيَةٞ وَجَنَّٰتٖ مِّنۡ أَعۡنَابٖ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشۡتَبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۗ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾[5]، ومنه قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ ﴾[6]، وكذلك: ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمۡعَكُمۡ وَأَبۡصَٰرَكُمۡ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِهِۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ هُمۡ يَصۡدِفُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾[7].

(١) سورة الرعد الآية ٣.
(٢) سورة آل عمران: ١٩٠. ١٩١.
(٣) سورة آل عمران ١٩١.
(٤) في ظلال القرآن: سيد قطب، ٢/ ١٩٠.
(٥) سورة الأنعام الآية ٩٩.
(٦) سورة الأعراف من الآية ١٨٥.
(٧) سورة الأنعام الآية ٤٦.

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.29

ISSN p.p:2708-3993 / ISSN o.l: 2708-4000
Vol.2.Special.1/ (2020-2021)

والنظر هو إحدى العمليات العقلية، والقرآن الكريم حين يخاطب العقل يسلك طرق الاستدلال الخاصة من استقراء واستنباط وقياس ومنطق...إلخ، لإقناع الجاحد أو من كان في نفسه أدنى شبهة، وصولا إلى حقيقة الإلوهية من جهة وليرتب على هذه الحقيقة ما يستتبعها من تبعات من جهة أخرى.

وهذا ما ذكره العلامة أبو السعود في تفسيره للفظ انظر للآية: ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾[1]، ما هو إلا أسلوب قرآني يستخدمه تارة بترتيب المقدمات العقلية وتارة بطريق الترغيب والترهيب وتارة بالتنبيه والتذكير[2].

ولعل فيما ذكره ابن البيطار وهو يضع قاعدته في العلم التجريبي في مقدمة كتابه (الأدوية المفردة) بصياغة « عربية إسلامية « أكبر دليل على مدى ما وصلت إليه الحضارة الاسلامية في تقعيد المنهج العلمي وتقنينه فهو يقول: ((اعتمدت صحَّة النقل فيما أذكره عن الأقدمين، وأحرِّره عن المتأخِّرين، فما صحَّ عِندي بالمشاهَدة والنظر، وثبَت لديَّ بالخُبر لا الخَبر، ادَّخرتُه كنزًا سريًّا، وعددتُ نفسي عن الاستعانة بغَيري فيه سوى الله غنيًّا، وما كان مخالفًا في القوى والكيفية، والمشاهَدة الحسية في المنفعة والماهية، للصواب والتحقيق، أو أن ناقله أو قائله عدَلاَ فيه عن سواء الطريق، نبذته ظهريًّا، وهجرته مليًّا، وقلت لناقلِه أو قائله: لقد جئت شيئًا فريًّا، ولم أُحابِ في ذلك قديمًا لسَبقِه، ولا محدَثًا اعتمد غيري على صِدقه)) .

وهكذا نجد حفاوة المنهج العلمي الاسلامي بالعقل والتفكير والنظر ايما احتفاء، احتفاء لا نجده في دين أو فكر كما هو الحال في الدين الاسلامي أو الفكر المسلم، منهج

(١) سورة الأنعام من الآية ٤٦.

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: أبو السعود محمد بن محمد العمادي، ٣/ ١٣٤.

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.29

يؤمن بالعقل ويؤمن بواقعية محدوديته فلا تسمح له أن ينطلق من أساره كما لا تسمح باقتحامه دوائر ليست من اختصاصه، ومن يريد اقحام العقل في غير موضوعاته انما يريد اضعافه واذلاله وبالتالي القول بعدم صلاحيته.

المطلب الثاني: اتساق المنهج العلمي في الاسلام

بالرجوع الى المنهج العلمي الاسلامي في بواكيره الأولى نكتشف ان العقل الاسلامي قد تعرف على ثنائيات معرفية كثيرة: العقل والنقل، الظاهر والباطن، العقل والشهود الكشفي، أو الفلسفة والعرفان، واثيرت اشكاليات معرفية في فهم النص واستعرت حروب التأويل لتضع النص والعقل الاسلامي أمام تحديات معرفية متعددة الابعاد، حيث بدأ التساؤل عن طبيعة المنهجية المعتمدة في تحصيل المعرفة[١]

تبلور البحث عن الحقيقة في اطار اتجاهات وطرائق بحث متعددة قسمها طاش كبري زاده الى قسمين: طريق النظر، وطريق الذوق، وينقسم طريق النظر الى قسمين: طريق الفلاسفة، وطريق المتكلمين، وينقسم الطريق الاخير – اي الذوق الى قسمين: طريق الاشراق وطريق التصوف[٢]، أما الغزالي فقد تحدث عن اربعة مناهج لطالبي الحق وهي: منهج المتكلمين، والباطنية، والصوفية، والفلاسفة[٣].

إنَّ اهم ما يجب أن يعرفه الراصد للمنهج العلمي الإسلامي هو ان الانساق المعرفية للحداثة الأوربية لا تشبه الأبنية الفكرية العميقة للمنظومة العلمية في الاسلام، واذا كانت المنظومة العلمية في اوربا تمثل فلسفة القطيعة مع التراث وفكرا للعلمنة وتدميرا

(١) المعرفة الدينية جدلية العقل والشهود، مجموعة من الباحثين، دار المعارف الحكمية، ط١، لبنان، ٢٠١١م:ص٢.
(٢) مفتاح السعادة ص٦٣.
(٣) المنقذ من الضلال، ص٦٤.

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.29

ISSN p.p:2708-3993 / ISSN o.l: 2708-4000
Vol.2.Special.1/ (2020-2021)

للمقدس ومحاولة قوية للحفاظ على اتحاد الانسان بالكون في ثقافة قد تم علمنتها بالفعل[١] فإنَّ الحال هذه لم توجد في الإسلام وان وجدت دعاوى من المنبهرين بثقافة الغرب اليها. والذين حاولوا من خلال خطة التأنيس[٢]، والتعقيل[٣]، والأرخنة[٤]أن

(١) نقد الحداثة، آلان تورين، ترجمة أنور مغيث، ص١٩.

(٢) خطة التأنيس أو خطاب الأنسنة وتستهدف إزالة عائق القدسية والذي يتمثل في اعتقاد أن القرآن كلام مقدس، واليات التأنيس تتمثل في اولا: حذف عبارات التمجيد التي يستعملها الجمهور كالقران العظيم ونحوها، ثانيا: استبدال مصطلحات التمجيد بأخرى نحو مصطلح الخطاب النبوي بدلا من الخطاب الالهي. ثالثا: التسوية في رتبة الاستشهاد بين الكلام الالهي والكلام الانساني. رابعا: التفريق بين مستويات الخطاب الالهي، بين الوحي والتنزيل، والقران الشفوي والمكتوب، وهكذا. ينظر: روح الحداثة المدخل إلى تأسيس الحداثة الاسلامية، طه عبد الرحمن، ص١٧٧-١٧٩؛ نقد الأركونية» تفكيك منهج نقد العقل الاسلامي وتقويم مشروع الاسلاميات التطبيقية عند محمد أركون، د. رواء محمود حسين، ص١٦.

(٣) خطة التعقيل أو خطاب العقلنة وتستهدف رفع عائق الغيبية وتتمثل في اعتقاد ان القران وحي ورد من عالم الغيب، وألية العقلنة في ازالة هذا العائق ويتمثل في الاتي: اولا: نقد علوم القران . ثانيا: نقل مناهج النقد للتوراة والانجيل الى مجال الدراسات القرانية. ثالثا: اعتماد علوم الانسان والمجتمع واللغويات وتحكيمها على النص القراني كاللسانيات وعلم التاريخ وعلم الاناسة وعلم النفس والتحليل النفسي. رابعا: الاستعانة بالنظريات النقدية والفلسفية المستحدثة كالبنيوية والتأويلية والتفكيكية ونحوها. المراجع نفسها.

(٤) خطة التأريخ أو الارخنة، وتستهدف رافع عائق الحكمية بضم الحاء ويتمثل في اعتقاد أن القرآن جاء بأحكام ثابتة وأزلية، وأليات الأرخنة تتمثل في الاتي، أولا: توظيف المسائل المسلم بها في تفسير القران مثل: مسألة أسباب النزول، ومسألة الناسخ والمنسوخ ومسألة المحكم والمتشابه، ومسألة المكي والمدني، ومسألة التنجيم، حيث تم توظيف هذه المسائل بالضد من غاياتها عند المفسرين لتكون عند الحداثيين تكأة استندوا عليها في ممارسة النقد الحداثي للنص القرآني. ثانيا: تغميض مفهوم الحكم، حيث زعموا ان النص يحتمل كونه عاما أو خاصا، ويحتمل كونه ناسخا أو منسوخا، مطلقا أو مقيدا، نصا أو ظاهرا، مبينا أو مجملا، وتحتمل صيغته للأمر أو الخبر إلى غير ذلك التي تؤدي في نظرهم الى اختلاف شديد في القيمة التشريعية لآيات الاحكام وفي صفتها الالزامية. ثالثا: تقليل عدد آيات الاحكام . رابعا: اضفاء النسبية على آيات الاحكام. المراجع

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.29

يدعوا الى ازالة العوائق بحسب نظرهم في اللحوق بالمنهج العلمي الأوربي .

ونشير هنا الى ان واقعية المنهج العلمي الاسلام ضمنت له الاستمرارية لولا تنكب ابنائه عنه في العصور المتأخرة، ومن يتأمل القرآن الكريم وما بين سطوره وآياته سيتجلى له بوضوح مدى اعتناء الاسلام برصد الحقائق والبحث عنها وتحصيلها انطلاقا من قوله تعالى: (سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد).

لقد تأسس المنهج العلمي في الاسلام على التجربة مع عدم اغفال بقية الوسائل والطرق الموصلة لتحقيق ذلك وعلى ذلك قامت نظرية المعرفة في الحضارة الاسلامية على تفاوت بين الاتجاهات والمذاهب والفلسفات الموجودة في رحم الحضارة الاسلامية على اعتماد تلك الوسيلة وهذا الطريق من ذاك[1].

ويمكن القول بأن ظاهرة الاعتماد على حقائق العلم التجريبي وتوظيفها في الاسلام ليست بالأمر الجديد، بل نستطيع بشيء من التدقيق فيما كتبه المتقدمون أن نجد لهذه الظاهرة جذورا تراثية إما بصورة صحيحة وإما بصورة ضمنية، وقد وجد اتجاه لدى بعض العلماء المتقدمين يتبنى صراحة القول بأن القران قد اشتمل على سائر العلوم والمعارف وما من علم الا وقد دل عليه ؛ فقد ذهب الامام الغزالي رحمه الله تعالى الى ان القران مشتمل على علوم الاولين والاخرين، ذلك أن العلوم داخلة في افعال الله تعالى وصفاته وفي القران شرح ذاته وصفاته وأفعاله، وهذه العلوم لا نهاية لها وفي القرآن اشارة الى مجامعها ومقاماتها والتعمق في فهم هذه العلوم راجع الى فهم هذه الآيات وان

السابقة نفسها.

(١) مناهج البحث في العقيدة الاسلامية في العصر الحاضر، د. عبد الرحمن بن زيد الزنيدي، ص١٥٨.

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.29

ISSN p.p:2708-3993 / ISSN o.l: 2708-4000
Vol.2.Special.1/ (2020-2021)

كان مجرد ظاهر التفسير لا يشير اليها وبهذا يقرر الغزالي بأن كل ما اشكل فيه على النظار واختلف فيه الخلائق في النظريات والمعقولات ففي القران إليه رموز ودلالات عليه يختص أهل الفهم بدركها(١).

وفي كتابه جواهر القران يعقد الغزالي فصلا لبيان انشعاب سائر العلوم من القرآن الدينية منها وغير الدينية، بناء على أن جميع العلوم مغترفة من بحار معرفة الله تعالى، وهو بحر الأفعال، وهذا البحر لا ساحل له، وهو يضرب أمثلة كثيرة لذلك، منها قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ ﴾(٢) فمن افعال الله الشفاء وهذا الفعل لا يعرفه الا من عرف الطب بكماله وعلاماته، ومعرفة الشفاء واسبابه، ومن افعاله أيضاً جعل الشمس والقمر ومنازلهما بحسبان كما قال تعالى: ﴿ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ ﴾(٣) ولا يعرف حقيقة سير الشمس والقمر بحسبان وكسوفهما أو خسوفهما وولوج الليل في النهار وكيفية تكور احدهما على الاخر الا من عرف هيئات تركيب السموات والارض وهو علم برأسه(٤) .

وأما الفخر الرازي فقد طبق عمليا قضية الاستعانة بالعلوم والحقائق ومقررات العلم التجريبي في تفسيره للقران العظيم حيث أشار إلى جملة حقائق قرانية ابرزها، أنَّ الله ملأ كتابه من الإستدلال على العلم والقدرة والحكمة بأحوال السماوات والارض وتعاقب الليل والنهار وأحوال الشمس والقمر والنجوم وذكر هذه الأمور في أكثر

(١) احياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، ١/ ٢٩٠؛ ومناهج الاستدلال على مسائل العقيدة الاسلامية في العصر الحديث مصر أنموذجا، أ.د أحمد قوشتي عبد الرحيم، ص٤١٢ .
(٢) سورة الشعراء الآية ٨٠.
(٣) سورة الرحمن الآية ٥.
(٤) جواهر القران، أبو حامد الغزالي، ص٣٠.

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.29

السور وكررها، واعادها مرة بعد اخرى[١].

وتطبيقا لهذه الرؤية حاول السيوطي استخراج أنواع العلوم والمهن والصنائع من القران الكريم؛ فالطب مداره على نظام الصحة واستحكام القوة ويكون ذلك باعتدال المزاج وقد جمع ذلك في اية واحدة وهي قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ ﴾[٢] اما حدوث الشفاء للبدن بعد اعتلاله فالاشارة اليه في قوله تعالى:﴿ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ﴾[٣] والنجارة مشار اليها في قوله:﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ ﴾[٤] والغزل في قوله: ﴿ نَقَضَتْ غَزْلَهَا ﴾[٥] والصياغة في قوله:﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ ﴾[٦]

ثم ختم السيوطي مقالته بقوله: (وأنا أقول قد اشتمل كتاب الله العزيز على كل شيء اما انواع العلوم فليس منها بابا ولا مسألة هي أصل الا وفي القران ما يدل عليها وفيه عجائب المخلوقات وملكوت السموات والارض وما في الافق الاعلى وما تحت الثرى)[٧]

ونشير هنا إلى الواقعية في هذا المسلك التجريبي في الحضارة الاسلامية من خلال نصوص المرجعية الدينية المتمثلة بالكتاب والسنة، حيث أن القران الكريم- بحسب محمد اقبال- (كون في اتباعه شعورا بتقدير الواقع وجعل منهم آخر الامر واضعي أساس العلم الحديث وإنه لامر عظيم حقا أن يوقظ القران تلك الروح التجريبية في

(١) مفاتيح الغيب، للرازي، ١٤/ ١٢١.
(٢) سورة الفرقان من الآية ٦٧.
(٣) سورة النحل من الآية ٦٩.
(٤) سورة هود من الآية ٣٧.
(٥) سورة النحل من الآية ٩٢.
(٦) سورة الاعراف ١٤٨.
(٧) الاتقان في علوم القران، للسيوطي، ٢/ ١٢٩.

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.29

ISSN p.p:2708-3993 / ISSN o.l: 2708-4000
Vol.2.Special.1/ (2020-2021)

عصر كان يرفض عالم المرئيات بوصفه قليل الغناء في بحث الانسان وراء الخالق)[1] .

هذا الفهم ترك أثره البالغ في اصطباغ القرن العشرين بالصبغة العلمية؛ فظهر رواد الاتجاه العلمي المعاصر في الاعتداد بالادلة الحسية والتجريبية واعمال عبادة التفكر في عجائب الكون من الرياض والحقول والبساتين[2] .

وهنا تجدر الاشارة إلى أمر مهم وهو ان الواقعية في الاسلام تتضح من خلال ما هو مشاهد ومحس بالحواس لا كما يحاول أتباع نظرية الكوانتم والعالم الذري وما دونه من ابطال تلك المشاهدات والاقتصار على طريق واحد موصل للحقيقة، وقد ارشدنا المنهج العلمي في الاسلام الى اننا مأمورون في فهم الواقع على المشاهد والمحس لا على ما يخفى ويدق رؤيته الا بما يرى بالميكرسكوب ونحوه، ودلائل ذلك أكثر من أن تحصر؛ فالشريعة تقول « صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته» وهنا الرؤية هي العينية كما هو معلوم، وقد اكتفى المسلمون، أو أكثرهم منذ قديم الزمن الى يومنا بهذه الرؤية مصححة لصومهم من غير نكير؛ مع انه قد لا يرى بالعين المجردة ويرى بوسائل الرؤية الحديثة، بل دعا الاسلام اتباعه الى عدم التنازع في رؤية الهلال هل هو ابن ليلتين أو ثلاثة حين يبدو كبيرا

روى أبو بكر بن أبي شيبة بسنده قال: حدثنا محمد بن فضيل عن حصين عن عمرو بن مرة عن أبي البختري قال خرجنا للعمرة فلما نزلنا ببطن نخلة قال تراءينا الهلال فقال

(١) تجديد التفكير الديني في الاسلام، محمد اقبال، ص٢١.

(٢) أبرز هؤلاء: فريد وجدي في كتبه الحديقة الفكرية، والاسلام دين عام خالد، المدنية والاسلام، وطنطاوي جوهري في كتبه، تفسير الجواهر، وميزان الجواهر في عجائب هذا الكون الباهر، ونظام العالم والأمم أو الحكمة الاسلامية العليا. وكذلك وحيد الدين خان في كتابه الاسلام يتحدى. د. محمود عثمان في كتابه الفكر الهادي الحديث وموقف الاسلام منه

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.29

بعض القوم هو ابن ثلاث وقال بعض القوم هو ابن ليلتين قال فلقينا ابن عباس فقلنا إنا رأينا الهلال فقال بعض القوم هو ابن ثلاث وقال بعض القوم هو ابن ليلتين فقال أي ليلة رأيتموه قال فقلنا ليلة كذا وكذا فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(إِنَّ اللهَ مَدَّهُ لِلرُّؤْيَةِ، فَهُوَ لِلَيْلَةٍ رَأَيْتُمُوهُ)[1].

فهذا تاسيس المرجعية الدينية في الاسلام لهذه القضية وكيفية توظيف الحس المشاهد في عملية المعرفة في قضية تعد من اهم القضايا وهي قضية الصوم، ولو تصفحنا نصوص القران لوقفنا من ذلك على الشي الكثير[2].

ولعل هذا ما دفع المتكلمين وبعض فلاسفة الاسلام الى اعتماد مبدأ اصالة الوجود واعتبارية الماهية، حيث إن القول بأصالة الوجود تترتب عليه نتائج كثيرة في الفلسفة، بل قد لا نجد مسألة فلسفية إلا ويرتبط مصيرها بذلك، وبتعبير الشيخ محمد تقي مصباح اليزدي: إن مسألة أصالة الوجود، مسألة جارَّة وأساسية، ولا ينبغي إطلاقاً أي تساهل في تناولها، لأن مسائل العِلِّية وعلاقة المعلول بالعلة ونتيجة ذلك ترتبط بأصالة الوجود، وعلى أساس ذلك تُحل كثير من المسائل المهمة.

أما معنى الأصالة والاعتبار، فإن الأصيل: هو الأمر الواقعي الحقيقي الخارجي، الذي تترتب عليه الآثار الخارجية أولاً وبالذات، وفي قبال الأصيل، الاعتباري، فالاعتبار يقابل الأصالة وهو ما لا تترتب عليه الآثار الخارجية أولاً وبالذات.

(١) أخرجه مسلم، كتاب الصيام، باب، باب بيان أنه لا اعتبار بكبر الهلال وصغره، وأن الله تعالى أمده للرؤية فإن غم فليكمل ثلاثون، ٢/ ٧٦٥، برقم: ١٠٨٨.

(٢) بمكنة القارئ الرجوع الى بحثنا التدليل الهادي في العقيدة الاسلامية المنجز بالاشتراك بيني وبين الباحث حميد القيسي والمزمع نشره في مجلة العلوم الاسلامية في جامعة تكريت، العدد، ١/ ١٢٧١.

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.29

ISSN p.p:2708-3993 / ISSN o.l: 2708-4000
Vol.2.Special.1/ (2020-2021)

أما محل النزاع فهو: من الذي يملأ الواقع الخارجي، وتترتب عليه الآثار الخارجية، أهو الوجود أم الماهية؟ هذا منشأ النزاع في المسألة، وهو كما ترى مسألة مطروقة من قبل المسلمين قبل ستيوارت مل وديفيد هيوم وغيرهما من مؤسسي المنهج العلمي في الغرب

فأما الذي يملأ الواقع الخارجي ويكون هو الحقيقة العينية فهو الوجود، عندها يكون هو الأصيل، هذا معنى أصالة الوجود، وإذا كانت هي الماهية فإن الأصالة للماهية.[١]

وقد استتبع القول باصالة الوجود كونه حقيقة واحدة مشككة ذات مراتب مختلفة متمايزة بالشدة والضعف والتقدم والتاخر، وعلى هذا لا ضير في اعتبار المشاهد بالعين المجردة هو اقوى وجودا واشد وضوحا من الموجود الذي لا يشاهد الا بدقائق الوسائل العلمية[٢].

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على سينا محمد صاحب المعجزات الباهرات وعلى آله وصحبه اجمعين.

بعد هذه الرحلة المباركة في موضوعات هذا البحث المتنوعة والمختلفة لا بد من وقفة تأمل واستذكار لما حققه البحث من مقاصد وما توصل إليه من نتائج بعد أن اكتملت صورته كما رسمناها له :

أولا: النتائج

١- العلم له قيمة عليا في الاسلام حيث ان العلوم والمعارف كلها محترمة؛ لأنها افعال الله تعالى في هذا الكون وما يحويه.

(١) بداية الحكمة، السيد محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة النشر الاسلامي، ١٤٠٥هـ، ص١٢.
(٢) المرجع نفسه ص١٦.

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.29

٢- لا يوجد تقاطع وتضاد بين العلم والدين، وما يراه البعض من تقاطع انما هو وهم سرى إلى أذهانهم لعدم تحقيقهم المسألة العلمية باتقان .

٣- ان قوة المنهج العلمي في الاسلام مرتبطة بمرجعيته الدينية بينما ضعفه في تنكبه عنها واصطدامه بها.

٤- ان قوة المنهج العلمي في اوربا يكمن في تخليه عن مرجعيته الدينية التي كانت سببا في ضعفه ابان العصور الاوربية المظلمة.

٥- حاول بعض العرب والمسلمين استدعاء التجربة الاوربية في تعاطيها مع تراث مرجعيتها الدينية لكي يسقطوها على واقع المسلمين مزيفين القول بأن سبب تخلفهم يكمن في مرجعيتهم الدينية وقرانهم المقدس.

٦- دعا بعض المستغربين الى اعتماد اسس الحداثة في النهوض بواقع المسلمين من خلال خطاب الانسنة والعقلنة والارخنة واستهدفوا بهذا الخطاب المرجعية النصية وفهم العلماء المنضبط لها.

٧- كان المسلمون متكلمين وفلاسفة سابقين الغرب في طروحات علاقة العلة بمعلولها والسبب بمسبباته، والظاهر والواقع، والمشاهد المحس، وغير المشاهد المحس، وايهم الاصيل والدخيل.

٨- عرف المسلمون والحضارة الاسلامية في عصورها الزاهية الاوبئة والامراض وقد استفادوا من كل ما من شأنه ازدهار الامم وتعافي ابنائها حتى لو استعانوا بغير المسلمين لتحقيق ذلك. وقد أدّى مسيحيو الدولة العباسية خاصّة السريان من يعاقبة ونساطرة دورًا مهمًّا في الترجمة والعلوم والطب خلال فترة الدولة العباسية، وقد أسهموا في ترجمة كتب الطب، والفلك، وحتى الفلسفة الالهية.

٩- كانت الحضارة الاسلامية متصالحة مع نفسها ومع ابنائها وقد حوت في رحمها

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.29

ISSN p.p:2708-3993 / ISSN o.l: 2708-4000
Vol.2.Special.1/ (2020-2021)

مختلف الآراء والافكار والتوجهات التي خرجت فلاسفة وأطبّاء وعلماء ومشرّعين ومؤرّخين وفلكيّين وحوت مستشفى، ومختبرًا، دارًا للترجمة، ومكتبة ومرصدًا.

ثانيا: التوصيات

١- ضرورة الاعتناء بتدريس وتثقيف طلبة العلوم الشرعية بمناهج فلسفة العلم التجريبي.

٢- تضمين مناهج الدراسات العلمية في الجامعات والمعاهد العلمية علوم ومعارف الفلسفة والدين.

٣- السماح لطلبة العلوم الشرعية الخوض في غمار الدراسات العلمية التي تبرز تأثير الدين في نظريات العلم وموقفه من المستجدات العلمية والمعرفية.

وصل الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

المصادر

- القرآن الكريم

١. الإتقان في علوم القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط،٤، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.

٢. إحياء علوم الدين: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت: ٥٠٥هـ): دار المعرفة – بيروت.

٣. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: أبو السعود محمد بن محمد العمادي، (ت: سنة ٩٥١ هـ)، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت. لبنان.

٤. أوهام العقل، قراءة في « الاورجانون الجديد» لفرانسيس بيكون، عادل مصطفى،

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.29

مؤسسة هنداوي سي آي سي، المملكة المتحدة.
٥. بداية الحكمة، السيد محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة النشر الاسلامي، ١٤٠٥هـ.
٦. تجديد التفكير الديني في الاسلام، محمد اقبال، ترجمة عباس محمود، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط٢، ١٩٦٨م.
٧. روح الحداثة المدخل إلى تأسيس الحداثة الاسلامية، طه عبد الرحمن، ط١، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – بيروت، ٢٠٠٦م.
٨. شعب الإيمان: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨ هـ) دار الكتب العلمية – بيروت ط،١، ١٤١٠، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول.
٩. الصنم الذي هوى، ارثر كستلر، ترجمة د. فؤاد حمودة، دمشق.
١٠. فلسفة فرنسيس بيكون، تأليف الدكتور حبيب الشاروني، دار الثقافة، ط١، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
١١. في ظلال القرآن: سيد قطب، نشر دار التراث العربي، بيروت، لبنان، سنة (١٣٩١ هـ. ١٩٧١ م)، ط٧.
١٢. فيزياء الكوانتم حقيقة أم خيال، أليستر راي، ترجمة: أسامة عباس، دار الكتاب للنشر والتوزيع، الاسماعيلية، مصر، ط١، ٢٠١٦م.
١٣. القاموس المحيط، للفيروزآبادي.
١٤. لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: ٧١١هـ) دار صادر – بيروت، ط، ٣، – ١٤١٤ هـ.
١٥. مجلة العلوم الاسلامية جامعة تكريت، العدد، ١/ ١٢٧١.
١٦. مشكلات الفلسفة، برتراند رسل، ترجمة سمير عبدو، دار التكوين، ط١، دمشق، ٢٠١٦م.

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.29

ISSN p.p:2708-3993 / ISSN o.l: 2708-4000
Vol.2.Special.1/ (2020-2021)

١٧. مشكلات الفلسفة، د. ماهر عبد القادر محمد علي، دار المعرفة الجامعية، مصر، ١٩٩٨م.
١٨. المعجم الوسيط في اللغة العربية، ط دار الدعوة،القاهرة ١٠٥٠، مختار الصحاح، ص٧٣٢؛ العجم الفلسفي، د. مراد وهبة، ط الهيئة العامة للكتاب، مصر ٢٠٠٦م.
١٩. المعرفة الدينية جدلية العقل والشهود، مجموعة من الباحثين، دار المعارف الحكمية، ط١، لبنان، ٢٠١١م.
٢٠. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (٦٩١ هـ - ٧٥١ هـ)المحقق: عبد الرحمن بن حسن بن قائد (وفق المنهج المعتمد من بكر بن عبد الله أبو زيد - رحمه الله -)راجعه: مُحَمَّدْ أَجْمَل الإِصْلاحِي، سليمان بن عبد الله العمير: دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط،٥، ١٤٣٢ هـ
٢١. المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت: ٥٠٢هـ) المحقق: صفوان عدنان الداودي: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط،١، - ١٤١٢ هـ .
٢٢. مناهج الاستدلال على مسائل العقيدة الاسلامية في العصر الحديث مصر أنموذجا، أ.د أحمد قوشتي عبد الرحيم، مركز تكوين، ط٢، ١٤٣٩هـ- ٢٠١٨م.
٢٣. مناهج البحث في العقيدة الاسلامية في العصر الحاضر، د. عبد الرحمن بن زيد الزنيدي، مركز الدراسات والاعلام، دار اشبيليا، ط١/ ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.
٢٤. المنقذ من الضلال: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت: ٥٠٥هـ) بقلم: الدكتور عبد الحليم محمود: دار الكتب الحديثة، مصر.
٢٥. المنهج العلمي عند العلماء العرب محاولة في الفهم، د. ماهر عبد القادر محمد علي، ط١، ١٩٩٥م، ندوة الثقافة والعلوم، دبي.

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.29

٢٦. نحو علم كلامي معاصر(العقيدة الاسلامية في ضوء العلم الحديث)، الدكتور سعد الدين السيد صالح، ط٢، دار الصفا للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
٢٧. نقد الأركونية» تفكيك منهج نقد العقل الاسلامي وتقويم مشروع الاسلاميات التطبيقية عند محمد أركون، د. رواء محمود حسين، خزائن الحكمة(مدونة الكترونية)، سنة النشر: ٢٠٢٠م.
٢٨. نقد الحداثة، آلان تورين، ترجمة أنور مغيث، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ١٩٩٧م.
٢٩. مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١ هـ) الناشر: مؤسسة قرطبة - القاهرة، ٤/ ٢٧٨.
٣٠. نصر محمد عارف. نظريات التنمية السياسية المعاصرة، دراسة مقارنة في ضوء المنظور الحضاري الاسلامية، ط٢، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، فرجينيا، الولايات المتحدة الامريكية، ١٩٩٣.
٣١. الآراء والمعتقدات، تأليف غوستاف لوبون، ترجمة عادل زعيتر، ط١، مؤسسة هنداوي، مصر، ٢٠١٤م.
٣٢. الصنم الذي هوى، تأليف ستة من كبار كتاب الغرب، ترجمة د. فؤاد حمودة، منشورات المكتب الاسلامي، ط١، ١٩٦٠، دمشق.
٣٣. العجم الفلسفي، د. مراد وهبة، ط الهيئة العامة للكتاب، مصر ٢٠٠٦م،
٣٤. المنهج العلمي عند العلماء العرب محاولة في الفهم، د. ماهر عبد القادر محمد علي.
٣٥. فيزياء الكوانتم حقيقة أم خيال، أليستر راي، ترجمة: أسامة عباس، دار الكتاب للنشر والتوزيع، الاسماعيلية، مصر، ط١، ٢٠١٦م.

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.29